(جون وانزبروغ) رائدُ النَّظَرِيَّةِ الشَّكِّيَّةِ في جَمْعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ في دِراسَتِهِ المَوْسُومَةِ (دِراساتٌ قُرْآنِيَّة)

(الجزء الثاني)

أ.د. عبد الجبار ناجي
بيت الحكمة - بغداد

فحوى البحث

في دراسة سابقة للاستاذ الباحث، نشرت في مجلة (المصباح) في عددها الثالث والعشرين (خريف ٢٠١٥) بعنوان (اهتمام المستشرقين بعملية جمع القرآن الكريم)، لم يقدم السيد الباحث، ضمن العنوان الرئيس أيَّ اسم من أسماء المستشرقين، على اساس أن البحث المذكور مدخل اساسي للتوجهات التي تركزت حوله جل اهتمام اولئك المستشرقين بالموضوع.

وها هو ذا الاستاذ الباحث، وبحكم تخصصه بالدراسات الاستشراقية، يعود الى المهتمين بمثل هذه الأبحاث الرصينة ليعرض وجهة نظر اولئك المستشرقين في مسألة (جمع القرآن) والتي كان (نولدكه) من أوائل من تصدوا لهذا البحث الحساس.

وبالنظر الى طول البحث وأهميته، قمنا بتجزئته على قسمين اتماماً للفائدة المتوخاة من كشف الأغراض الحقيقية لخوض مثل هذه الموضوعات من قبل اناس لايهمهم الا الطعن بعظمة القرآن الكريم وإعجازه.

ممّا لا شـــــكّ فيه أن المستشرق ونزبوروغ من العلماء البارزين في تخصصهم في مجال اللغات السامية وفي التاريخ الإسلامي، وأن كتابيه القيّمين (دراسات قرآنية) و (الوسط الفِرَقي أو المذهبي) قد نالا شهرة واسعة بين جيل المستشرقين المحدثين والمعاصرين، ولولا صعوبته في اللغة وفي المنهج والإداء لكان كتابا معروفا على مستوى أوسع بين القرّاء الأجانب والعرب والمسلمين لأنه يتناول موضوعا مهما أخذ فيه كتاب تاريخ القرآن لثيودور نولدكة (بطبعته الإنجليزية وبترجمته الى العربية) حيّزا واسعا. فعملية جمع القرآن الكريم يعدّ من وجهة النظر الإسلامية مشروعا في غاية الأهمية في إطار مهمته الأساسية في جمع الكلمة وتوحيد الأمة الإسلامية. صحيح جدا أن المرويات الحديثية المتوافرة في مؤلفات الصحاح والتاريخ اعتمدت على مروية واحدة أو مجموعة قليلة من الأحاديث (أو كما أرى بأنها مرويات تاريخية لا حديثية). فكان عمل ونزبوروغ في هذا الإتجاه مختلفا بل ومتضاربا أحيانا مع عمل نولدكة (طبعا كتاب نولدكة لوحده لا الكتاب بالطبعة التي حققها شاولي الجزء الثاني). وكما قال محقّق كتاب (دراسات قرآنية) البروفسور المعروف في دراساته وآرائه بخصوص القرآن أندرو ربن Rippin في مقدمته forward أنه في لقاء مع أستاذه ونزبوروغ أشار الى أن الكتاب صعب ولذلك لم يلق رواجا واسعا بين القرّاء في أوربا وأمريكا ولولا أن تدارك الأمر تلميذه الوفي أندرو ربن فأعاد تحقّيقه وإضافة الكثير جدا من الهوامش والتعليقات المفيدة لما طبع في حالته الأولى بطبعة ثانية؛ فالبروفسور أندرو لمّح الى أستاذه، أثناء تطرق أندرو ربن لأحد الأدباء البريطانيين الأديب والشاعر والأديب الإنجليزي لوري Lowry، الى مصاعب الكتاب وتعقيداته هنا أردف ونزبوروغ قائلا لتلميذه معترضا على سسألة الصعوبة: ألم يكن لوري – Lo ry صعبا في عروضاته؛ عندئذ توقف

التلميذ عن مثل هذا الحديث ولم يكرّره ثانية[1]. فأنتهز هذه الملاحظة فأقول إن المستشرق يبدو أنه كان متعمدا عل جعل كتابه وتفسيراته المباشرة بالنسبة الى القرآن الكريم أن تكون غير مفهومة أو صعبة الفهم، وقد أدركت نفسي هذه الإشكالية في العديد من تفسيراته، ولم أجد فائدة في رجوعي الى القواميس الإنجليزية إنجليزية نظير قاموس أوكسفورد بطبعته الموسعة وقاموس ويبستر. فالإحالات والتعبيرات والمصطلحات الأجنبية اللاتينية والألمانية والعبرية، فضلا عن استعماله لغة إنجليزية (كلاسيكية، ومعقدة) لولا تلك القواميس لصعب عليّ إدراك أهميتها أو بالأحرى إدراك ما يهدف اليه المستشرق.

والمستشرق عالم فذّ، لكنه يبدو أنه صعب المراس وعنيد لا يريد بل لا يرغب في توصيل تفسيره ومعلوماته التاريخية المتميزة الى الآخر، وطبيعي فأن العلماء عنيدون في طرحهم الأفكار والتفسيرات الجديدة بحسب رأيهم والعناد حالة ضرورية بالنسبة الى العلماء المجدّدين. فعندما كنت في جامعة لندن وفي SOAS القى في أحد السمينارات البروفسور المرحوم محمد محيي شعبان المصري النشأة البريطاني الجنسية تلميذ البروفسور الراحل جب Gibb وكان موضوع دراسته "أمير المؤمنين" وكان هناك جمهور من الأساتذة والطلبة الشرق أوسطيين والآسيويين وكان السمنار بقيادة استاذنا العالم الراحل برنارد لويس Lewis أدلى المحاضر رأيا بخصوص أصول هذا اللقب لم يلق قبولا عند الطلبة فأخذنا نستشهد له بروايات

(١) ينظر عن الشاعر لوري وكيبديا – Wik .pedia، the free encyclopedia
كذلك ينظر مقدمة البروفسور أنرو ربن Rippin (Forward)P. XV. وبحثه للقيّم – Rippin) A. Rippin، " Li erary analysis of the Qur'an، Tafsir and Sira: The Methodology of John Wansbrough " in Richard C. Martin (ed.) Approaches to Islam and Religious Studies (University of Arizona Press 1985، P. 151 .–162

من مصادرنا الإسلامية التي لا تدعم رأي المرحوم شعبان. لكنه كان يرفضها جميعا ولا يستمع اليها ويقول "هذا رأيّ وإنني مصرّ عليه"، فمثل هذا العناد مفيد من زاوية لكنه غير مفيد للتلاميذ وهواة التاريخ بل حتى للمؤرخين وبالتالي فأن نفعه قليل للبحث العلمي الذي يؤمن بضرورة الاستمرار البحثي العلمي، فليس هنالك من استاتيكية في النتائج العلمية وبالأخص الإنسانية منها والتاريخية. فالبروفسور ونزبوروغ في رؤيته بأن جمع القرآن الرسمي أو المعترف فيه من قبل المسلمين ومن قبل المستشرقين لم يحدث إلّا في عام ٨٠٠م، أو في نهاية القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث للهجرة ومن غير الممكن ارجاع جمع المصحف الى فترة أبكر من ذلك ويستحيل جمعه وتدوينه زمن رسول الله ﷺ. إنها وجهة نظره وعلى المتلقي تقبّلها وإن كان بحوزته مروايات أو كتب أو مخطوطات تدلي بما يخالف هذه الفرضية، وفوق هذا وذاك فهو لا يتقبل مناقشتها والجدال فيها.

ولكن مع ذلك فمن زاوية عرضنا لا بدّ من القول أن هناك الكثير من السلبيات المحيطة باستنتاجاته سنعرضها من دون أن نعرف ردّه.

بادئ ذي بـــدء فإننا نرى أن المستشرق قد ظلّ في كتابه محصورا في زاوية ضيقة وحادة، فبالنسبة الى رسالة (القدر) للحسن البصري فأنه لا يعتقد بصدقية القول وهو يرى إنها ترجع الى ما بعد سنة ٨٠٠م ايضا على الرغم من قبول العلماء من المستشرقين والفلاسفة والمؤرخين العرب والمسلمين بها وبصحة نسبتها الى الحسن البصري[٢]. وقبالة الاعتراض على مقولته بسؤال ماذا كان المسلمون يتداولون بشأن القرآن خلال القرنين السابقين لعام ٨٠٠ م (والتاريخ هذا يقابله في التاريخ الهجري ما يقارب من سنة ١٨٤هجرية)، هنا يتساءل المرء عن الأسباب المقنعة في اختيار سنة ٨٠٠م على وجه التحديد أو كحدّ

(٢) Madigan، A. “ Reflections on some current directions in Qur’anic Studies “ in The Muslim World، 85، (1995) p. 357

فاصل بين ما قبل تدوين القرآن وما بين التدوين بشكل عام؛ فضلا عن السبب المقنع عن اختياره هذا الامتداد التاريخي أمّا في نهاية القرن الثاني للهجرة بمعنى من أجل تقريب هذا التقدير غير السليم من سنة ١٩٠هجرية الى ٢٠١ هجرية وقوله الذي أردفه بهذا التحديد وهو أو أمّا بداية القرن الثالث الهجري ومن أجل تقريبها واقعيا ايضا فلنقل العقد الأول من القرن الثالث أي من سنة٢٠١ هجرية الى ٢١٠ أو الى٢١١ هجرية. فالتحديدان، أكاد أن أقول، قد اختيرا من قبل المستشرق أختيارا قسريا من دون أي اعتبار تاريخي أو موسوعي وسوف أعود لمناقشة هذا الموضوع بعد أسطر. فالمستشرق يرى في الإجابة على التساؤل ماذا كان لدى المسلمين قبل هذا التاريخ الذي حدّده فيقول كانت ننالك مجموعة أطلق عليها تعبير – pr phetic logia ويعتقد بكونها تمثل periscopes برسكوب أو مثقاب للكشف، وهذا الاستعمال لا يلبي الحاجة في موقفه، فهذا المأثور النبوي إن كانت الترجمة صحيحة ما المقصود من استعماله هنا أإنه يعني أقوال النبي أي بمعنى أحاديثه أم أن المستشرق شأنه شأن المستشرقين الآخرين الذين يرون بأن الرسول هو الذي ألّف القرآن وأنه لا يعتقد بقدسيته ولا بأن الله تعالى قد أنزله بواسطة الملك جبرئيل عليه السلام على رسول الله؟؟!.

فالملحوظ إن سنة ٨٠٠م يقابلها بالهجرية سنة ١٨٤ هجرية أو بحدود ذلك فلمّا راجعت الوقائع التاريخية التي وقعت في هذه المدّة بالتحديد لم أجد تحولا أو تطورا علميا يمكن الاعتماد عليه في مسألة نسخ القرآن الرسمي أو المتوافر حاليا، والمعروف تاريخيا كونها، أي السنة، تقع ضمن الحدود الزمنية لخلافة هارون الرشيد الذي بويع بالخلافة في ليلة لإثنتي عشرة بقين من شهر ربيع الأول عام ١٧٠ هجرية ومات بمدينة طوس في يوم السبت لأربع ليال خلون من شهر جمادي الآخرة من عام ١٩٣هجرية. فليس هناك سوى وفاة مالك بن أنس بن أبي

عامر الأصبحي، مات وهو ابن خمس وثمانين سنة، والمتفق أنه ولد بحدود في سنة ٩٣ هجرية/ ٧١١م وفي المدينة المنورة والمتوفى عام ١٧٩هجرية/ ٧٩٥ م أي قبل خمسة أيام من التاريخ الميلادي المحدد من قبل المستشرق. وكانت له مواقف غير علمية مع مؤرخ السيرة النبوية محمد بن اسحاق أجبرته عداوته على أن يهجر مدينته ليتجه الى العراق، الكوفة ثمّ الحيرة إذ أفلح في الوصول الى بلاط أبي جعفر المنصور فكتب له السيرة النبوية في ثلاثة أجزاء اقتضبها ابن هشام واختصرها وأفقدها روعتها واهميتها لإعتماده على رواية البكائي المحرّفة، وقد عرف مالك بن أنس عند أهل السنة بشيخ الإسلام وحجة الأمة ومفتي الحجاز. فقيه ومحدِّث مسلم، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. اشتُهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتثبُّته فيه، وكان معروفاً بالصبر والذكاء والهيبة والوقار والأخلاق الحسنة، وقد أثنى عليه كثيرٌ من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: «إذا ذُكر العلماء فمالك النجم، ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين». ويُعدُّ كتابه «الموطأ» من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها وأصحِّها، حتى قال فيه الإمام الشافعي: «ما بعد كتاب الله تعالى كتابٌ أكثرُ صواباً من موطأ مالك». وقد اعتمد الإمام مالك في فتواه على عدة مصادر تشريعية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب. له كتاب الموطأ الذي اعتمد عليه مستشرقنا وقدّمه على غيره.

وممّن توفي خلال هذه المدّة علي بن حمزة الكسائي صاحب القراءات وتوفي في سنة ١٨٤هجرية/ ٨٠٥م. وهو مؤلف لعدد من الكتب في علوم القرآن نظير معاني القرآن وكتاب القراءات وكتاب مقطوع القرآن وموصوله وغيرها؛ كما صنّف الكسائي كتاباً

عنوانه (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة)[٣]. وممّن توفي في هذه السنة أيضا محمد بن الحسن الشيباني في سنة ١٨٩هجرية ومن بين مصنفاته الكثيرة كتاب أصول الفقه وكتاب الجامع الصغير والجامع الكبير لكنه لم يكتب في علوم القرآن وانصّب اهتمامه على البيع والقسمة والزكاة والوقوف والصدقات... الخ[٤]. وفي زمن هارون استشهد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في سجن هارون سنة ١٨٣هجرية[٥]. فهل في وفاة أي من هؤلاء الأئمة والعلماء ما يدّل على تطور علمي في نسخ القرآن الكريم؟!. أم هي مسألة حيوية تتعلق بفحوى وهدف المستشرق من تحديد تلك السنة على أنها السنة التي جمع فيها القرآن الكريم، غير أنه مع الأسف لم يُشَرْ الى مَنْ الناسخُ أو بكلمة أخرى كيف تمّ جمعه أإن لجنة محددة كاللجنة الرباعية التي نظمها الخليفة الثالث أم أن هنالك شخصية بعينها تعهدت جمعه فإن كان الأمر كذلك فما هي المواصفات العلمية واللغوية المؤهلة لمثل هذا المشروع العويص والذي تتداخل فيه الآراء والمواقف والمذاهب والإتجاهات والأحقاد الشخصية والفرقية وجميع هذه المثالب بل وأكثر منها بكثير كان متوافرا في العصر العباسي يقف على رأسها موقف حكّامها من الأئمة الأطهار ومن العلويين والشيعة والعمل على طمس تراثهم وإقصائه وإحلال الأمال والأماني العباسية بدلاً منه نظير ما قاموا به خلال الدعوة العباسية إذ كانت لآل البيت، إلّا أنها عمليا كانت لبني العباس المغمورين في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف؛ فهذه الفراغات في فرضية ونزبوروغ وهذه الإشكاليات تفوق كثيرا الإشكاليات التي طرحها بشأن عملية جمع القرآن أو بالأحرى أصول القرآن

(٣) ابن النديم (طهران) ص٧٢.
(٤) ينظر ابن النديم الفهرست ص٢٥٧-٢٥٨؛ المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر (دار الأندلس -بيروت) جزء ٣ ص٣٣٩، ٣٤٣.
(٥) المسعودي؛ مروج ص ٣٥٥.

وأصول الإسلام. أمّ من الجانب الآخر فأنها السنة التي شرع هارون في كتابة نسخة العهد الذي كتبه هارون الرشيد في سنة ١٨٣هجرية كتبه محمد الأمين بخطه أو في نسخة الشروط التي كتبها عبد الله المأمون بخطه وعلقا على باب الكعبة المشرّفة ليقرأهما[٦] الناس من علاقة بنسخ القرآن في زمن هارون الرشيد أو في سنة ٨٠٠ م وما يقابلها في الهجري ١٨٤ هجرية؟!. أمّا تحديد المستشرق الواسع المدى بحسب قوله في القرن الثاني أوالقرن الثالث الهجريين فهو يبرز إشكالية أخرى تتضمن وفيات علماء ورواة وفقهاء ومحدّثين ومؤرخين وأحداث فكرية وعلمية لاسيما إذا ما أدخلنا ضمن هذه الفترة التاريخية فترة حكم المأمون والدور الذي نهد فيه بيت الحكمة في ترجمة العلوم اللاتينية والسريانية في الطبّ والفلك والصيدلة والفلسفة والمنطق وغيرها من علوم اليونان والفرس. فهل يقصد المستشرق أن القرآن الرسمي أو المعترف به قد جمع في هذه الحقبة ولأسباب تتعلق بهذه التطورات العلمية والفكرية؟!. والواقع فإنني كنت أتوقع من المستشرق في رأيه هذا أن تكون سنة ١٥٠ هجرية أو ١٥١ هجرية بدلا من سنة ١٨٤ هجرية (لأن سنة وفاة محمد بن اسحق مختلف فيها أمّا ١٥٠ أو ١٥١ هجرية)هي التي أوحت اليه بفكرة بداية التدوين التاريخي والحديثي أوفي بداية كتابة مؤلفات كبيرة على هيأة كتب بأجزاء أو بمجلدات نظير تاريخ الرسل والملوك للطبري أو كتاب الموطأ لمالك بن أنس. لكننا -على الرغم ربما من صحة هذه الفرضية، غير أن المستشرق لم تكن هذه الفكرة حسبما يبدو تدور في خلده!.

فالبروفسور ونزبوروغ بالنظر الى تحديد زاوية اعتماده على ضرب محدد من المصادر الإسلامية دون الأخرى اندفع الى تبرير اختياره لسنة ٨٠٠م أو للفترة الواسعة من القرنين الثاني

(٦) ينظر اليعقوبي؛ أحمد بن أبي واضح؛ تاريخ اليعقوبي (مطبعة الغري، النجف ١٣٥٨ هجرية) جزء ٣ ص١٥٠ -١٥٢.

للهجرة والقرن الثالث للهجرة كسنة أو فترة للجمع وهذا إن دلّ على شيء، فانما يدل على تعصبه لرأي مسبق بمعنى إن الفكرة التي بنى المستشرق عليها موقفه في مسألة جمع القرآن لم تكن واضحة في ذهنه وقد اختلطت عملية الجمع هذه بتاريخية الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب. ومع إننا قد نكون قد جانبنا الحقيقة في هذا، إلّا أن المستشرق في الحقيقة قد أقصى طبقة مهمة من المصادر حتى أنه لم يمرّ على ذكرها ربما لأنها ترتبط بالفكر الشيعي لا بالمؤلفات التي حصر نفسه في التركيز عليها في ابتداع نظريته ولذلك وصف الروايات التقليدية بانتقادها لكونها غير موضوعية وغير مفيدة في هذا الباب وأعني ضعفها وتناقض المرويات التي أدلى بها البخاري ومن نقل عنه وكرّر أقواله تلك التي أضحت المصدر الأساس بامتياز في عملية جمع القرآن الكريم. فالمستشرق لم يقرأ كتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام الذي يتضمن الكثير من المعلومات عن القرآن الكريم وعن جمع القرآن ولم يقرأ ما ورد في كتاب سليم بن قيس الهلالي (المتوفى سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م) الذي حققه الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئليني، قم- إيران، ج٢ ص٥٨١ -)[٧] من أن الإمام علي وبعد إنتقال رسول الله الى جوار ربه أقسم أن لا يخرج من داره إلّا ويجمع القرآن، وبالفعل فقد جمعه وحمله على بعير أو حمله في خرقة وجاء به الى المسجد الجامع في المدينة حيث كان الخليفة الأول والثاني والثالث وزيد بن ثابت الذي أعطي مهمة جمع أو نسخ القرآن والصحابة الآخرين من غير بني هاشم فوضع الخرقة قائلا للصحابة: هذا هو القرآن الكريم. وكانت تلك الصحائف التي قد سلّمها رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر حياته الى الإمام قائلا له هذا هو القرآن فاجمعه. فإذا ما شكّ (بل وأجزم بأنه سيشكّك بالكتاب ونسبته

(٧) كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي حققه الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئليني، قم -إيران، ج٢ ص ٥٨١-).

ومؤلفه الهلالي) المستشرق ونزبوروغ أو من كرّر رأيه على أن كتاب قيس الهلالي مشكوك بأمره وغير موضوعي إذن ما هو رأيه في كتاب تاريخ اليعقوبي الذي يعتمد عليه المستشرقون والمتوفى بعد سنة٢٩٢ هجرية/ ٩٠٤ م. فلينظر ماذا ورد فيه فيقول اليعقوبي ما نصّه «وروى بعضهم إن علي بن أبي طالب كان جمعه لمّا قبض رسول الله ﷺ وأتى به على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء» واسماء هذه الأجزاء هي من دون أن نستفيض الأن في سرد محتويات كل جزء هي كالآتي:- الجزء الأول واسمه جزء البقرة وهو يقع في ٨٨٦ آية وهو في ست عشرة سورة، والجزء الثاني وأسماه جزء آل عمران وهو يقع في ٨٨٦ آية وهي خمس عشرة سورة، والجزء الثالث وهو جزء النساء وهو في ٨٨٦ آية وهو في سبع عشرة سورة، والجزء الرابع وهو جزء المائدة وهو في ٨٨٦ آية وهو في خمس عشرة سورة، والجزء الخامس وهو جزء الأنعام وهوفي ٨٨٠ آية وهو في ست عشرة سورة، والجزء السادس وهو جزء الأعراف في ٨٨٦ آية وهو ست عشرة سورة، الجزء السابع وهوجزء الأنفال وهو ٨٨٦ آية وهو ست عشرة سورة[٨]. ومما لا شكّ فيه إن هذه التحديدات الرقمية لكل جزء من أجزاء القرآن السبعة تؤكد بوضوح وجود القرآن قبل التاريخ الذي حدّده المستشرق.

وما له علاقة بالموضوع السابق إن لأبي القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي صاحب تفسير (تفسير فرات الكوفي) والمحدّث الشيعي أبو النصر العياشي التميمي الكوفي من أعيان علماء الشيعة صاحب كتاب التفسير، المعروف بتفسير العياشي رواية وبحسب سلسلة السند الآتية:- عن سوران بن مسلم عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبو علي الحسن بن محبوب وأخبرني عمر بن عمر عن جابر أن الإمام

(٨) ينظر اليعقوبي؛ تاريخ (دار الفكر- بيروت ١٣٧٥هجرية/ ١٩٥٦م)جزء ٢صفحات ٩١ -٩٣.

جعفر الصادق أخبره عن أبيه قال «وجدنا هذا الكلام مكتوباً في كتاب من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام حول الخلق وخلق الطبائع الأربعة الريح، والبلغم، والمرّة والدم»[٩]. وهذا المعنى يراد به كتاب للإمام بخصوص أقواله عليه السلام وعلمه في هذه الكيفية والكيفيات الأخرى ولا يقصد منه قرآن الإمام عليه السلام بحسب رواية العياشي. لكن يذكر فرات الكوفي بسلسلة سند ترجع إلى الإمام علي عليه السلام في آية ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أنها في قراءة الإمام (هو كتاب علي لا ريب فيه هدى للمتقين)[١٠].

(٩) العياشي: تفسير العياشي (دققه وحققه وصححه وعلق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، جابخانه علمية، قم) جزء ١ ص ٢٦ -٢٨. ابن النديم؛ الفهرست ص٢٩؛ ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت) مجلد١ ص ٢٣٥ -٢٣٦).

(١٠) فرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي (تحقيق محمد الكاظم، طبعة ثانية) تهران ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، وزارة فرهنك وارشاد اسلامى) ص ٢٥، ٥١ -٥٢.

كذلك فقد أورد العياشي رواية بخصوص سورة المائدة في قوله عزّ من قائل ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة المائدة: ٤]. ونقل العياشي عن سماعة ابن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يفتي وكنّا نفتي ونحن نخاف في صيد البازي والصقور. فأمّا الآن فإنّا لا نخاف ولا يحلّ لنا صيدها إلّا أن تدرك. وإنه لفي كتاب علي عليه السلام إن الله تعالى قال ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ فهي الكلاب[١١].

كذلك بحسب رواية الحلبي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال إن الآية (إلّا ما علّمتم من الجوارح) في كتاب علي عليه السلام المقصود بها الكلاب. وأورد العياشي بسند عن أبي هبيرة الحذّاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال سمعته «يقول:- وجدنا في بعض كتب أمير

(١١) تفسير العياشي جزء ١ ص ٢٩٤.

المؤمنين عليه السلام قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله إن جبرئيل عليه السلام حدثه أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله وهو ابن ثلثين سنة».

فهذه الروايات المستندة إلى أقوال الأئمة الأطهار تشير إلى أن للإمام علي عليه السلام كتاباً يعرف بكتاب علي عليه السلام ولعله يحتوي على عدة كتب اعتماداً على أقوال الأئمة عليهم السلام (كتب عليّ أو كتب أمير المؤمنين) والكتاب بحسب المحتوى الذي ورد فيه تفسير فرات والعياشي له علاقة بالقرآن أو من جهة أخرى بتفسير آياته.

ولعل من الصائب القول أن القرآن والكتاب هما وحدة واحدة إذ يضم بين دفتيه آيات الذكر الحكيم فضلاً عن معاني القرآن وأسباب النزول والتفسير استناداً إلى ما حدّث به رسول الله صلى الله عليه وآله الامام علي عليه السلام في مثل تلك الجوانب المهمة، ففي رواية للعياشي بسنده عن علي بن حمزة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام بشأن قوله تعالى في سورة هود ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام وهكذا قرأه أمير المؤمنين عليه السلام[12]. وتدلّ هذه الرواية دلالة واضحة وجلية على أن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يشير إلى حرف لقرآن الإمام علي عليه السلام وهذا يشمل أيضاً كتابه.

وفوق هذا وذاك فإن المستشرق أخشى إنه قد أغفل حقيقة أمركتّاب الوحي أو ربما لم يثق بمصداقية الروايات التي عنيت بوجود مثل هؤلاء الكتّاب، فإن كان الأمر كذلك فليس لنا حاجة في قراءة تاريخ سيرة رسول الله أو تاريخ الوحي، لكنني أردف فأقول: على فرض أنه يرى بوجود كتّاب الوحي عندئذ فالسؤال المطروح أن عددا من هؤلاء كان لديه مصاحف خاصة بهم نظير مصحف عبد الله بن مسعود الصحابي الذي امتدحه الرسول كثيرا ومصحف أبي بن كعب ومصحف أبي موسى الأشعري وهي مصاحف مجموعة ومكتوبة على أساس أنهم كانوا يعرفون الكتابة والقراءة لذلك اختيروا لأن يكونوا

(١٢) م. ن. جزء ٢ ص ١٥٨.

من كتّاب الوحي. وبحسب المعروف إن عبد الله بن مسعود قد توفي بسبب دفاعه وبسبب موقفه من مصحفه؛ إذ تجمع الروايات أن الخليفة الثالث حين عزم على جمع القرآن أو إعادة جمعه شكّل لجنة أسماها باللجنة الرباعية (ينظر كتابي الإمام علي وعملية جمع القرآن) وبعد الإنتهاء من هذا الجمع أحرق أو أتلف المصاحف التي كانت بحوزة الصحابة، لكن ابن مسعود امتنع من أن يسلّم نسخة مصحفه وذلك لأنه علم بأن عثمان يريد أن يحرق المصاحف ماعدا مصحفه، عندئذ أمر عثمان واليه على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز أن يبعث بابن مسعود مخفورا الى المدينة، فعندما جيء به دخل المسجد الجامع إذ كان الخليفة يخطب في المجتمعين فقطع كلامه وقال عثمان «طرقكم الليلة دويبة، من تمشي على طعامه يقيء فقال ابن مسعود دلست كذلك ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر وأحد وبيعة الرضوان ويوم الخندق ويوم حنين. وصاحت عائشة يا عثمان تقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ فقال عثمان أسكتي» بعدها أمر أحد جلاوزته وهو عبد الله بن زمعة أن يخرج ابن مسعود إخراجا عنيفا، فسحل ابن زمعة هذا الصحابي ابن مسعود حتى أوصله الى باب المسجد الجامع فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه فقال ابن مسعود «قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان»[١٣]. كلّ هذا حدث في سنة ٣٢ هجرية/ ٦٥٤م، ولماذا لأن ابن مسعود امتنع عن تسليم مصحفه لعثمان الذي أحرق المصاحف، اليس هذا من بين الأدلة الأخرى التي تعمل بالضدّ من فرضية ونزبوروغ. ولعل هناك من يتساءل كيف كان مصحف ابن مسعود فقد قال محمد بن إسحق النديم نقلا عن محمد بن إسحق صاحب السيرة النبوية ما نصّه «رأيت عدّة مصاحف ذكر نسّاخها أنها مصحف ابن مسعود، ليس فيها

(١٣) اليعقوبي؛ تاريخ جزء ٢ص ١٢٠؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة مجلد ١ ص٢٣٥، ٢٣٧.

مصحفان متفقان وأكثرها في رقّ كثير النسخ، وقد رأيت مصحفا قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب» طبعا لعل ابن النديم أو ناسخ كتابه قد أخطأ في كلمة مائتي سنة ولعل الأصح مائة سنة لأن ابن إسحاق قد توفي على وفق رأي أكثر العلماء في سنة ١٥٠ هجرية/ ٧٦٧م. وقد وصف الفضل بن شاذان وهو أحد الأئمة في القرآن والرواية تأليف سور القرآن في مصحف ابن مسعود على هذا الترتيب ويبدأ بذكر السور بدءا من سورة البقرة الى سورة الله الواحد الصمد، ومجموع السور في هذا المصحف مائة وعشر سور، وكان عبد الله بن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب بحسب ما قاله ابن شاذان قوله عن ابن سيرين.. امّا الدليل الآخر فهو بشأن مصحف أبي بن كعب، إذ يقول ابن النديم نقلا عن ثقة من أصحابه إنه رأى في إحدى قرى البصرة مصحف أبي وأنه استخرج منه اوائل السور وخواتيم السور، وعدد سوره بدءا من سورة البقرة الى سورة الناس فكان مجموع السور فيه مائة وعشر سور، ومجموع آي مصحف أبي بن كعب ٦٢١٠ آية وقيل بحسب قول عطاء بن يسار أن عدد سوره مائة وأربع عشرة سورة وأن عدد آياته بحسب رواية عطاء ٦١٧٠ آية وعدد كلماته ٧٧٤٣٩ كلمة وعدد حروفه ٣٢٣٠١٥ حرفا، وقيل أيضا برواية عاصم الجحدري أن عدد سور مصحف أبي مائة وثلاث عشرة سورة ومجموع آيات المصحف على رأي يحيى بن الحارث الذماري ٦٢٢٦ آية ومجموع حروفه ٢١٠٥٣٠ حرفا[١٤].

ولهذه الرواية أهمية بالغة تدحض رأي ونزبوروغ ومن يؤيده على أن القرآن المعترف فيه قد جمع في سنة ٨٠٠م أو في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة، فيحيى الذماري قد توفي في سنة ١٤٥هجرية/ ٧٦٢م، وكان لعاصم الجحدري قراءة في أهل البصرة وأن سلسلة القراءات تجعل قراءة الأعمش على أبي بكر وقراءة

(١٤) الفهرست ص ٢٩ - ٣٠.

أبي بكر على عاصم وقراء عاصم على السلمي وقراء السلمي على علي بن أبي طالب عليه السلام وقراء علي على النبي صلى الله عليه وآله؛ فترتيب سلسلة قراء عاصم أقرب الى الإمام علي عليه السلام بمعنى كونها قديمة ترجع الى الربع الأول من القرن الأول الهجري[١٥]. والخلاصة فإن جميع ما تقدّم ذكره يعدّ ردّا شافيا وكافيا على عدم دقة تاريخ جمع القرآن الكريم على وفق ما قدّره المستشرق جون ونزبوروغ ومن أيده من المستشرقين وغير المستشرقين.

فضلا عن هذا فهناك أمور أخرى قابلة للجدل والنقاش في كتاب المستشرق من بين أهمها:-

١. لم يذكر المستشرق من هم جمّاع القرآن الكريم وهو أمر مهم جدا. وجمّاع القرآن هم: بما قاله ابن النديم في فهرسته [طبعة تجدد صفحة ٣٠] تحت عنوان رئيس (الجمّاع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله):- علي بن أبي طالب عليه السلام. سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد رضي الله عنه. أبو الدرداء عويمر بن زيد رضي الله عنه. معاذ بن جبل بن أوس رضي الله عنه. أبو زيد ثابت بن النعمان. أبي بن كعب بن نقيس بن ملك بن أمرئ القيس. عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت الضحاك»[١٦].

٢. وهناك رأي فيما يتعلق بموقف المستشرق من جمع القرآن ألا وهو إذا كان القرآن قد تمّ جمعه بعد مائتي سنة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وفي العراق في عهد العباسيين عندئذ يكون من الصعب جدا تصديق رواية المبعث الكريم إن كان في جبل حرّاء أوحينما كان الرسول يرعى الغنم. وبالتالي لا تكون هناك من حاجة الى جميع التاريخ الإسلامي للفترة المكّية ولا لسيرة الرسول في الفترة المدنية. وعندها علينا أن نفتش عن تاريخ آخر للإسلام غير الذي في حوزتنا. فالمستشرق فضلا عن نكرانه وجود القرآن زمن الرسالة أو أنه قد جمع من قبل الإمام علي عليه السلام، فإنه لم ير

(١٥) فهرست ابن النديم ص ٣١ -٣٢.

(١٦) م. ن.

أية موثوقية بالمرويات التاريخية الأخرى ومن ثمّ كان اكثر تطرفا من جولدتسيهر ونولدكة ولامانس في رفضهم الأحاديث والروايات التاريخية. حقيقة إن الكثير من الأحاديث قد وضعت أو صنعت خدمة لأغراض ومنافع شخصية تخصّ الحكّام وأخرى تخص القبائل والطوائف والمذاهب؛ وحقيقة أخرى أن الكثير من الروايات التاريخية قد صنعت أو دسّت أو زورت أو عدّلت أو لطّفت لتوافق منطق الحكّام الذين شجعوا الرواة على التدليس والكذب والافتراء لأسباب مادية أو للتقرب من هذا الحاكم أو ذاك. كل ذلك متوافر في تاريخنا أو أي تاريخ للدول والممالك الأخرى المجاورة للدولة الإسلامية فمحبوا الدنيا كثر آنذاك وفي زماننا الراهن إذ تختلق الأخبار أو تلّفق من أجل حكّام هذا الزمن ومتنفذيه الذين جاءوا بحدّ السيف أو عبر المؤامرات والبذخ المادي، كلّ هذا بل وأكثر من هذا كان موجودا بعد وفاة رسول الله الى وقتنا الراهن. غير أن فلاسفة التاريخ منذ ابن خلدون مرورا بهيغل وتوينبي وروّاد المدرسة التاريخية النقدية في أوربا عودونا، نحن طلبة التاريخ، على منهج علمي يستند الى عملية دقيقة وبالغة الصعوبة من المقارنة بين الروايات وفحصها والتدقيق في سلاسل إسنادها وفحواها وبنيتها الداخلية والخارجية وإظهار مواضع الخلل فيها قبل أن ندونها أو أن نقبلها ونقبل صلاحياتها في التدوين. والمستشرق ونزبوروغ كان على الضدّ من هذا المنهج تماما فهو يرفض الموجود من روايات من دون أن يبني بناءا آخر متساوقاً ومتسقاً مع الحدود الزمانية والمكانية للأحداث التاريخية.

٣. واقعا إن المستشرق كان محلّلا رائعا للنصوص القرآنية والتاريخية، وهو يمتلك قدرة لغوية جديرة بالاستحقاق والثناء؛ غير أن

الجدارة في التحليل لا تلغي بالمرة الرواية المتفق عليها أو لا نقصيها نهائيا وبالمرة إذ لابدّ من أن ندلي بالنقيض، على وفق التفكير المادي للتاريخ، فالنقيض يؤدي في خاتمة المطاف الى نقيض النقيض وهو نقيض بنّاء لا مجرد تخريب وهدم فحسب. والمستشرق ونزبوروغ قد أقصى التاريخ الإسلامي ومصادره التاريخية الأصيلة، وربما اكتفى بتاريخ الطبري أو بتفسير مقاتل أو بالموطأ لأنس بن مالك؛ إلّا أن هذه الحفنة من المصادر التي بعضها نظير تاريخ الطبري لم يأت بجديد عن ما نقله اليه الرواة إذ كان مبدأه بله ومنهجه في قبول الروايات كيفما يشاء كيفما أورده هذ الراوية آو ذاك هو منهج ساذج بل هو منهج الأمر الواقع ففي مقدمة كتابه يقول ما معناه إنه -أي الطبري -ما هو إلّا جامع للروايات لا محلّلها وأن العهدة في قبولها أو رفضها أمر يتحمله راوية هذا الخبر أو ذلك الحدث. فعلى المستشرق أن يغور في أعماق المصادر التاريخية والتراجمية والرجالية والبلدانية والحديثية غير المنطوية ضمن هذا المذهب أو ذاك أو بالأحرى غير المتحزبة لمذهب معين أو تلك التي منهجها منذ البداية الطعن والتشهير بمؤلفات المذهب الآخر، أقول أنه لم يراجع الأدب الشيعي في التفسير والتاريخ والرجال والتراجم والفقه كما أنه لم يراجع المؤلفات الزيدية والإسماعيلية والإباضية وذلك بغية الوصول الى نظرية مقبولة ومتوازنة لا أن يحدّد زاوية علمه وتحليلاته على صحيح البخاري وتفسير مقاتل وتفسير الطبري فحسب على الرغم من أهمية هذه المصادر. فمن قال للمستشرق أن محمد بن إسحاق في سيرته الأصلية لا في سيرة ابن هشام الذي دمّر بالفعل سيرة ابن إسحاق، من قال أنها سيرة موضوعية وحقيقية تماما لاسيما بعد أن قدّمها للخليفة

العباسي أبي جعفر المنصورالذي كان يبحث عن أدلة واستشهادات تاريخية تدعم شرعية حكمه، وشرعية وضعية جدّهم الأعلى العباس بن عبد المطلب الذي لم يكن له أي دور في الإسلام بل كان في صفّ أبي سفيان وشريكا له في تجارته. لكن المستشرق أغفل أو بالأحرى لا يعلم بالسيرة النبوية التي ألفها أبان بن عثمان البجلي الأحمر والمكوّنة من خمسة أجزاء: المبعث والسيرة والمغازي والسقيفة والردّة التي مع كلّ الأسف ضاعت أو قد أتلفها العباسيون لأنها السيرة الشيعية المهمة عن المبعث ونزول القرآن الكريم. والبجلي الأحمر قد توفي بعد محمد ابن إسحق بحوالى عشرين سنة فقط. فالمستشرق لم يطّلع على مروياته التي جمعها الشيخ رسول جعفريان العالم الإيراني معتمدا فيها على ما أوردته المصادر الشيعية، وقد أشار اليعقوبي الى أبان بن عثمان البجلي في مقدمته وكان أحد مصادر معلوماته. فرفضه المطلق للمعلومات بشأن تواجد اليهود في الحجاز بحاجة الى أدلة ثبوتية أخرى وإلّا فإن فرضيته ستكون بمثابة كارثة لجميع ما لدينا من معلومات قرآنية عن بني إسرائيل وعن النصارى وعن النبي يعقوب وعن المعاهدات التي عقدت بين الأوس والخزرج من جهة واليهود من جهة أخرى وعن معلومات تاريخية إسلامية وأخرى استشراقية كثيرة جدا كتبها المستشرقون اليهود والإسرائيليين عن يهود بني قريضة وبني القينقاع وبني النضير في المدينة المنورة وعن علاقاتهم بالكفّار القريشيين في مكة وعن العلاقة بين الإسلام واليهودية والنصرانية؛ فلينظر الى ما كتبه إبراهام جيجر Geiger Abraham في كتابه المطبوع باللغة الألمانية وهو في الأصل باللغة اللاتينية في سنة ١٨٣٢ الموسوم»- Was hat M

hammed aus dem Juden-thume aufgenommen?“) أي ما الذي تلقّاه محمد من اليهودية والذي ترجم الى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٩٨ بعنوان (اليهودية والإسلام) والى جولدتسيهر وجوزيف إلياش ويوري روبين ومائير بار-آشر وغيرهم.

٤. أمّا بخصوص النقوش المكتشفة في صحراء النقب في الأردن وإسرائيل التي اعتمدها المستشرق يهودا دو نوفو Yehuda D. Nevo المتوفى سنة ١٩٩٢؛ وهو عالم آثار كان يعيش في اسرائيل. قد اكتشفها خلال عملياته الأثرية وكانت نقوشا بالخط الكوفي في صحراء النقب في إسرائيل، وقد تمّ نشر أربعمائة منها في نقوش عربية قديمة من النقبAncient Arabic Inscriptions. وقد قادته هذه النقوش بالتعاون مع جوديث كورين Judith Koren الى إعادة دراسة أصول الإسلام والى إعادة دراسة التاريخ الإسلامي وقد تحقّقت هذه الدراسة في الكتاب الموسوم (Crossroads to Islam: Crossroads to Islam: The Origins of the Arab Religion and the Arab State مفترق الطرق نحو أو الى الإسلام: أصول الديانة وأصول الدولة العربية) المطبوع في Prometheus Books، (Amherst، NY، 2003). ولهذا المستشرق كتاب آخر بعنوان (التنقيب أو التحقيق عن محمد التاريخي the for Quest (Muhammad Historical حقّق من قبل ابن الورّاق. فقد قدّم يهودا دو نوفو في هذا الكتاب نظرية عن أصول الإسلام وعن أصول الدولة الإسلامية. وهو كما هي الحالة بالنسبة الى المستشرق ونزبوروغ لا يثق إطلاقا في المصادر الإسلامية؛ لكنهما، أي يهودا وجوديث، على الضدّ من ونزبوروغ يعتقدان أن

تسلسل الأحداث التي أدت الى جمع القرآن بحاجة الى إعادة بناء استنادا الى المصادر المادية كالنقوش والعملة النقدية. واستنتجا أن القرآن قد تمّ جمعه أيام العباسيين لحاجة علماء الشريعة الى شواهد وحقائق، وهذه جميعها قد أثمرت في زمن ابن هشام مؤلف السيرة النبوية لابن إسحاق.

وهنا أيضا، وبالاعتماد على المصادر المادية كالنقوش لا بدّ لنا من إدراج المداخلة القيّمة للمستشرق الأمريكي فريد دونر Fred M. Donner المولود في سنة ١٩٤٥ مونشرها في كتابه القيّم الموسوم (روايات عن الأصول الإسلامية Narratives of Islamic Origins) وهو أستاذ تاريخ الشرق الأدنى في جامعة شيكاغو، إذ يناقش فيه التاريخ المبكر للنصّ القرآني في ردّه على معتقد ونزبوروغ ويهودا دو نوفو فيستشهد بالبحث الأثري الذي قامت به المستشرقة إيستيلا ويلن Estelle Whelan [١٧] اعتمادا على

(١٧) Fred M. Donner: Narratives

لما ذكره المستشرق فريد دونر – Donner في كتابه السابق الذكر. إذ درست الباحثة التفسير السابق ليهودا دو نوفو بخصوص نقوش قبة الصخرة The Dome of the Rock فوصلت الى نتيجة معاكسة لتلك التي توصل اليها نوفو إذ أن النقش الذي درسته المنقوش على القبة كان عبارة عن آيات مقتبسة من أجزاء مختلفة من سور القرآن؛ غير أن تلك الآيات تتعلق حصرا بالعقيدة المسيحية في نظر القرآن والمسلمين. وقد لاحظت المستشرقة إيستيللا بأن هناك إختلافات أو تباينات صغيرة بأن هذه المقاطع في النقش تعكس كونها نصاً قرآنياً كالذي موجود في النصّ القرآني من القرآن المنشور في القاهرة. وأضافت

of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing(Darwin Press; 1998) P. 36 –37. ; Whelan، Estelle ; " Forgotten Witness: Evidences for the Early Codification of the Qur'an " in Journal of the American Oriental Society، 118 (1998) Pp. 1 –14

بأن مثل هذه التحويرات أو القراءات المختلفة للنص القرآني المعياري، أمر مقبول دائما في النقوش الإسلامية، على الرغم من تشدّد المسلمين في تلاوة النصّ القرآني، والأكثر طرافة أن المستشرقة وجدت نفس القراءة في نصّ قرآني متأخر. والخلاصة في رأي المستشرقة أن هذه الإختلافات ينبغي أن لا يفهم منها أنها تحريف للنصّ القرآني. والواقع فقد اطّلعت على بحث الدكتورة ايستيللا في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية عدد ١١٨، فضلا عن أنه منشور على موقع النهضة الإسلامية Islamic Awareness. والبحث قيّم إذ يتناول موضوعا أساسيا بالنسبة الى رأي ونزبوروغ بشأن النقش المنقوش على قبة الصخرة في القدس العائد الى عبد الملك بن مروان، ودرست الباحثة بعناية ما اقتبس من آيات كريمة ضمن هذا النقش وقارنته مع نقش للوليد بن عبد الملك على حائط القبلة لمسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة الذي ذكره البلداني المسلم ابن رسته (المتوفى سنة ٢٩٠هجرية/ ٩٠٣م) خلال زيارته أيام موسم الحج. ودرست الدكتورة هذه النقوش وأظهرت أنها مأخوذة من آيات قرآنية[١٨].

فهذا الرأي الذي قدّمته الباحثة إيستيللا والتعليق الذي بنى عليه البروفسور فريد دونر المؤيد لرأي الباحثة قد استخدمه البروفسور للردّ على آراء ونزبوروغ ويهودا نوفو الذي سبق ذكره في أعلاه. والأكثر أهمية أن تلك البحوث قد استخدمتها في مسألة أخرى تبين أن قراءة النصوص والنقوش قد تدلي بأفكار جادة إمّا تؤيد وتدعم الرواية التاريخية وإمّا تفندها وتلغيها؛ ومثال على ذلك ما حقّقه المقال المنشور حول مدينة القدس الذي نشر في مجلة (قضايا إسرائيلية) في عددها لصيف سنة ٢٠٠١. إنه بحث مثير كتبه أحد الكتّاب الفلسطينيين من أهالي حيفا وهو هشام نفّاغ وعنوانه (رؤية أولية لمشاكسة علمية جديدة نفي الأسطورة وجديّة الكشف عن الحقيقة). ويقف

(١٨) Ibid.

البحث على مسألة كشف مهم للعالم الأثري زئيف هرتسوغ الذي يعمل في جامعة تل أبيب يقول فيه:- إن نسبة ٩٠٪ من الباحثين (ربما يقصد من الأثريين) اليهود متفقون على عدم صحة الخبر الوارد في التوراة عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر و ٨٠٪ منهم من يعتقد بعدم واقعية الأخبار المتعلقة بأحتلال بني إسرائيل البلاد كما ورد ذكره في التوراة و٥٠٪ منهم يعتقد بعدم صحة الأخبار الواردة بشأن مملكة بني إسرائيل وكونها موحّدة وعظيمة الجانب. وهؤلاء لا يوافقون أيضاً على الأخبار حول تحديد جبل سيناء كونه مهبط نزول التوراة، وأنهم لم يصدقوا بصحة الأخبار حول عظمة مدينة كنعان وكونها محصّنة بحصون قوية تناطح رؤوسها السماء. ويستمر البحث هذا في الإعلان عن كون نتائج التنقيبات التي أجريت في القدس عاصمة مملكة بني إسرائيل الموحّدة كانت مخيبة للآمال اليهودية، إذ لم يتمّ العثور على شواهد ترجع إلى حقبة مملكة إسرائيل الموحّدة، وعلى الضدّ من ذلك كانت زمن الملكين داود وسليمان مدينة صغيرة، وربما كان لها حصن للملك، لكنها على أية حال لم تكن مدينة عظيمة ومحصّنة بحصن منيع كالذي جاء وصفه في التوراة. والمهم إن الكشف عن مثل هذه المكتشفات الأثرية غير محبّذ في نظر الساسة الصهاينة لأنها ستغير الكثير من المفاهيم الراسخة المرتبطة بالمعاصرة في نظر الصهاينة. ولذلك حسب قول الباحث وقف الصهاينة منها موقفاً رافضاً. اع، هشام (نفي الأسطورة وجدية الكشف عن عن الحقيقة[١٩].

(١٩) هشام نفاغ -كشف العالم الأثري في جامعة تل أبيب (زئيف هرتسوغ) -مجلة قضايا إسرائيلية -العدد الثالث.